من العلماء للبحث في جزائر المرجان فاجلى بحثهم عمَّا يؤيد رأي داروين في كيفية تكوُّنها ولم يخسر العلم شيئاً من هذه المعارضة بل زاد تدقيقاً وتحقيقاً

سكان استراليا الاصليون

أستراليا جزيرة في اقاصي المشرق بانحراف الى الجنوب مساحتها تقارب مساحة اوربا كلها فهي اكبر جزيرة في الارض. دخلها الانسان في العصور الغابرة قبل ان ارتقت طوائفهُ فتوالد فيها ولكنهُ لم يرتقِ من نفسهِ ولا اكتسب الارتقاء من غيرهِ لانقطاعها عن سائر البلدان ، ويحتمل ان سفن الفينيقيين او سفن العرب وصلت اليها في غابر الازمان لان فيها نقوشاً ورسوماً قديمة لا يحتمل انها من صنع السكان الاصليين فهي من صنع اقوام دخلوها عمداً او عرَضاً ثم غادروها او انقرضوا منها

علم الاوربيون بوجود استراليا في اواسط القرن السادس عشر ونزلوا فيها ١٠٣٠ نفساً سنة ١٧٨٨ اكثرهم من المجرمين ولم يشرعوا في عمارتها الاَّ منذ مئتين عاماً ومن ثم تقاطروا اليها افواجاً ولا سيما بعد ان كُشفت مناجم الذهب فيها واكثرهم من الانكليز . وسماها الفرنسويون اولاً جاوى الكبرى ثم أُطلق عليها اسم استراليا سنة ١٨١٧ وكان موضوعاً لقارَّة الجنوبيَّة أيضاً في زعم البعض لوجودها حول القطبة الجنوبيَّة . ويبلغ عدد سكانها الآن اربعة ملايين وستمئة الف نفس اما سكانها الاصليون فقُدِّروا حين دخول الاوربيين اليها بمئة وخمسين الفاً فقط ثم قلَّ عددهم رويداً رويداً لعلمهم لا يزيدون الآن على مئتين الفاً . وهم من احط طوائف الناس واغربهم اطواراً . وقد بعثت مدرسة ينا الجامعة بالدكتور رتشرد سيمون الى استراليا سنة ١٨٩١ فبحث عن احوال سكانها الاصليين وما فيها من النبات والحيوان بحثاً علمياً مدة سنة ونصف ونشر خلاصة بحثهِ الآن فلخصنا منها ما يلي في ما يتعلق بالسكان الاصليين واضفنا اليهِ ما تمَّ بهِ الفائدة

قال ان حالة هؤلاء الاقوام الآن مثل حالة سكان اوربا في العصر الحجري الاوَّل اي حينما كانوا يستعملون حجارة الصوان من غير صقل ولا اتقان. والبلاد غنيَّة بالمعادن من الذهب والنحاس والرصاص ولكنهم لم يستخرجوا شيئاً منها لا في هذا العصر ولا في العصور الغابرة . ولم يعرفوا الادوات المعدنيَّة الاَّ من الاوربيين الذين احتلوا بلادهم حديثاً . وكل اسلحتهم

وادواتهم مصنوعة من الحجارة والعظام والاصداف والاخشاب والالياف والاوتار وليس فيها ما دليل على الفن الصناعة فيحفرون بطارق من الحجارة ونكسهم لا يهذبونها ولا يثقبون فيها ثقباً تدخل اليد فيه كما ترى في الشكل الاول عند الرقم ٣. وبنايتهم ضخمة خالية من كل زخرفة كما ترى عند الرقمين ٤ و٥ وكذلك تروسهم كما ترى عند الرقم ٦. واذا ارادوا تزيين ابدانهم بالوشم جرحوا صدورهم وظهورهم جروحاً غائرة تزيد منظرهم قبحاً وشناعة. واذ حاولوا رسم انسان او حيوان رسموا خطوطاً مستقيمة تدل على الايدي والارجل كما يفعل الاطفال في

الشكل الاول — ١ و٣ البومرنغ ٢ مطرقة من الحجر ٤ و٥ نوعان اورمحان من الخشب ٦ ترس من الخشب ٧ سلة

السنة الرابعة والخامسة من عمرهم. ولم يصنعوا الخزف مطلقاً ولا آنية لطبخ الطعام فيكتفون بشيّ اللحم على الرضف اي الحجارة المحماة وهو غاية ما وصلوا اليه من صناعة الطبخ ويصنعون سلالاً بسيطة كما ترى عند الرقم ٧ وهي غاية ما وصلوا اليه في صناعة النسج والحبك. وعندهم نوع من الكلب وهو الحيوان الاهلي الوحيد

وهم قبائل رُحَّل يضربون في البلاد طلباً للصيد لا لانتجاع المراعي لانهُ ليس عندهم بقر

ولا غنم ولا خيل ولا جمال . ولو كانوا اهل نعم وزراعة لارتقوا في مدارج العمران من تلقاء انفسهم لان تربية الماشية وزراعة الارض تدعوان الى مواقبة احوال الجو ولتدبير نتائج الاعمال اما هم فليس عندهم شيء من ذلك ولكن اقتصارهم على الصيد من المعايش كان قوّى فيهم كل القوى اللازمة لهُ فهم اقدر الناس على معرفة اماكن الصيد وعلى رميهِ واصابتهِ بالرمح او النبوت او بالبومران سلاحهم الذي امتازوا بهِ وهو عود اعقف كالهلال محدَّد الراسين كما ترى عند الرقمين ١ و٢ في الشكل الاول يرمونهُ بمهارة تفوق وصف الواصفين ناظرين فيهِ الى بعد المرمى وجهة عصف الرياح فيذهب في الجو صعداً وهو يتمعج في سيرهِ ثم ينحدر الى ان يصيب الغرض . وقد وصفناهُ منذ ثماني عشرة سنة في المجلد الرابع من المقتطف حيث قلنا "البومران عربجون من خشب محدَّد الرأسين طولهُ ذراع ونصف (نحو متر) يستعملهُ اهل استراليا للحرب والصيد ولهم في رميهِ حذاقة مدهشة لانهم يرمونهُ الى الشرق قاصدين ان يرتدَّ الى الغرب فيذهب شرقاً ثم يرتدُّ غرباً من تلقاء نفسهِ ويقع حيثما يشاؤون . فان قيل لاحدهم ارمهِ حتى يعود اليك رماهُ بعنف حتى اذا ابعد عنهُ نحو خمسين ذراعاً صدم الارض وارتفع في الهواء عشرين او ثلاثين ذراعاً وعاد اليهِ ووقع عند قدميهِ . ويدور على نفسهِ في سيرهِ بسرعة تذهب بالبصر ويدوي دويّاً يذهب بالسمع . والعجب كيف ان قوماً برابرة كاهل استراليا اخترعوا هذه الآلة الجامعة لاغرب نواميس الحركة . فالاوربي لا يستطيع الرمي بها خوفاً من ان تعود اليهِ فتقتلهُ واما الاسترالي فيرمي بها كيف شاء ويقتل بها منظوراً وغير منظور"

وغنيٌّ عن البيان انهم صنعوا البومران واكتشفوا خواصهُ اتفاقاً لا جرياً على ناموس علمي ولا تبعاً لمبدإٍ صناعي ثم مهروا في استعمالهِ على توالي الازمان

ومما يدل على انحطاطهم انهم لا يستطيعون ان يعدوا اكثر من خمسة وبعض هذه الاعداد مركّب ايضاً فالواحد "غارو" والاثنان "بو" والثلاثة "كُرمدي" والاربعة "وغارو" والخمسة "بوكرمدي" مركبة من اثنين وثلاثة . واذا زاد المعدود على الخمسة عبروا عنهُ بكلمة "مِيان" اي كثير . ويبعد عن الظن ان اقواماً عاشوا وتوالدوا الوفاً من السنين واصابع ايديهم عشرون لم ينتبهوا للعد بها ولكن هذه حال الاستراليين حتى الآن . ويفرضون فروضاً على العصي تدلُّ على عدد الاشياء فرضاً لكل شيء فيفرضون عشرة فروض للعشرة الاشياء وعشرين فرضاً للعشرين ولكن ليس في لغتهم كلمة للعشرة ولا لغيرها من الاعداد فوق الخمسة . والذين تعلموا منهم قليلاً من اللغة الانكليزية يسر عليهم استعمال اعدادها الّتي فوق

الخمسة . ومنهم رجل اسمهُ مكنزي وهو المرسوم في الشكل الثاني عاشر البيض زماناً طويلاً فتعلم العد إلى حد العشرة وقليلاً من جمع فذا اصطاد امس اربع حيوانات واصطاد اليوم ثلاثة عم ان ما اصطادهُ في اليومين سبعة ولكن هذا جهد ما بلغهُ من علم الحساب اي انهُ مثل اولادنا في الخامسة او السادسة من عمرهم واما اذا اصطاد ثلاثة حيوانات كل يوم على ثلاثة ايام لم يعلم ان كل ما اصطادهُ تسعة كان ضرب ثلاثة في ثلاثة فرق طور عقلهِ وهو احذق رجل بين الاستراليين . وهذا شأنهم في كل المعاني المجرّدة فانهُ يتعذر عليهم ادراكها ولا كلمات لها في لغتهم وليس فيها اسماء للانواع مع انهم يميزون بين نوع من الحيوان ونوع آخر مثلاً عندهم انواع من الافاعي السامة وانواع من الافاعي غير السامة يميزون بينها ويسمون

شكل ٣ مكنزي الاسترالي

الاولى "وجي" والثانية "بوي" ولكنهم لا يفرقون بين انواع هذه وانواع تلك باسماء خاصة بها

واغرب من ذلك عدم تمييزهم للالوان المختلفة فليس عندهم الاَّ الابيض والاسود . واما الاحمر والبرتقالي والاصفر والازرق والنيلي والبنفسجي فلها كلها اسم واحد مع كثرة هذه الالوان في بلادهم

ومعلوم ان الشعب الذي لا يجرّد المعاني الكلية ولا يلتفت إلى ما حولهُ بعين البصيرة لا يُنتظر ان تكون مداركهُ الدينية عالية وهذا شأن الاستراليين فانهم خالون من كل اعتقاد بوجود الله او بوجود كائنات غير طبيعية ولذلك لا يعبدون شيئاً ولا يقدّمون ذبيحة ولا يصلّون لاحد . ويعتقدون ان ارواح موتاهم الذين لا يعتنى بدفنهم تجول في الارض ليلاً فيخافونها خوفاً شديداً ولكنهم لا يترضونها بوجه من الوجوه . ان يتّقون شرّها بتجمعهم بعضهم مع بعض حول

تارٍ يضرمونها ليلاً . ولا يحسبون المرض والموت من الحوادث الطبيعية بل من نتائج سحر القبائل المعادية لهم ولا يتجو الانسان منهما الاَّ بمقاومتهما بسحر ساحر من قبيلته . غير ان القبائل التي في بعض الجهات من جنوبي استراليا وغربيها وصلت إلى شيء من العبادة الدينية فانك ترى رجال القبيلة يحسبون جدهم الاعلى الذي نشأت منهُ قبيلتهم خالقاً للعالم وهذا من نوع عبادة الاسلاف

ولا يروي الاستراليون اخباراً عن ابطالهم السابقين كاليونان والعرب وانما مدار اقاصيصهم على السحر واعمال السحرة وتقمص الناس في اجسام الحيوانات

وقنية الرجل آلاتهُ وادواتهُ التي يستطيع حملها في ارتحالهِ . ولكل قبيلة حمًى او ارض واسعة تصيد فيها فلا يصيد فيها احد من القبائل المجاورة . والحروب قليلة بينهم وانسلم غالب عليهم اذ لا مطمع بغنيمة ولا بشيء من السلب . ولكل قبيلة رئيس تختارهُ من امهر رجالها في الصيد او في السحر ولهُ الشور والرأي ولكن ليس لهُ شيءٌ من السلطة على رجال قبيلتهِ . والحرية الشخصية مطلقة تمام الاطلاق كل امرئ يفعل ما يشاء ولا يتقيَّد الاَّ براعاة بعض العادات القديمة حتى الاولاد لا يقيدون بطاعة والديهم الاَّ نادراً وليس كذلك النساء فان لرجالهنَّ السلطة المطلقة عليهنَّ . وللشيوخ شيءٌ من السلطة لسعة اخبارهم ولا سيما في تربية الاحداث وتزويجهم . واذا امتاز رجل بالعقل والحزم تسلط على قومهِ ولكن سلطتهُ قائمة بنفسهِ لا تنتقل إلى اولادهِ ولا الى احد من عائلتهِ اي ان سلطة الرئيس ليست وراثية بل شخصية فاولاد الرجل المتسلط يكونون مثل سائر اولاد القبيلة

قلنا ان عدد الاستراليين الآن لا يزيد على ستين او سبعين ألفاً وانهم كانوا نحو مئة وخمسين الفاً حين احتلَّ الاوربيون بلادهم . ومما يقضي بالعجب ان قوماً نزلوا أستراليا منذ مئات بل ألوف من السنين لم يزد عددهم فيها على مئة وخمسين ألفاً مع ان الناس يتضاعفون عادةً كل اربعين او خمسين سنة . فلو كانوا الف نفس فقط منذ الف سنة وتضاعف عددهم مرةً كل مئة سنة لوجب ان يكونوا الآن اكثر من مليون نفس . لكنهم يحذرون كثرة النسل لئلاَّ تقصر خيرات الارض عن حاجتهم ولا هم اهل زراعة حتى يستثمروها فيقتلون اطفالهم كلما خافوا ان يزيد عددهم عمَّا تقوم بهِ الارض او يخصونهم حتى لا يخلفوا نسلاً . وفي بعض القبائل يخصي الرجل نفسهُ بعد ان يولد لهُ الولد الثاني او الثالث وهذا غاية ما بلغهُ الانسان في ايثار قومهِ على نفسهِ

ومعلوم انهُ اذا قلَّ النسل كثر تزوج الاقارب فضعف النسل . ويقال ان اهالي جنوبي استراليا كانوا يتزوجون من غير قيد فيتزوج الرجل بامهِ او اختهِ او ابنتهِ ثم رأوا عواقب ذلك

في اولادهم فحرّموا تزوّج الاقارب واولاً حرّموا تزوّج الرجل بامه او بابنته او بابنة اخيه او ابنة اخته او عمته او خالته ثم حرّموا تزوج اخيه وابنة عمه او ابنة خاله ثم تطرفوا في المنع فحرموا على الرجل ان يقترن بامرأة من فصيلته الى الدرجة الخامسة. وعندهم قواعد كثيرة تجعل تزوج الاقارب عسيراً جداً وتحمل رجال الفصيلة الواحدة على التزوج من فصيلة اخرى غير فصيلتهم

واذا بلغ الشاب سن الحلم احتفلوا بذلك احتفالاً عظيماً واجروا له بعض الرسوم الدينية فيختونه حينئذٍ ويسمون بذلك ويقتلعون سنين من ثنايا

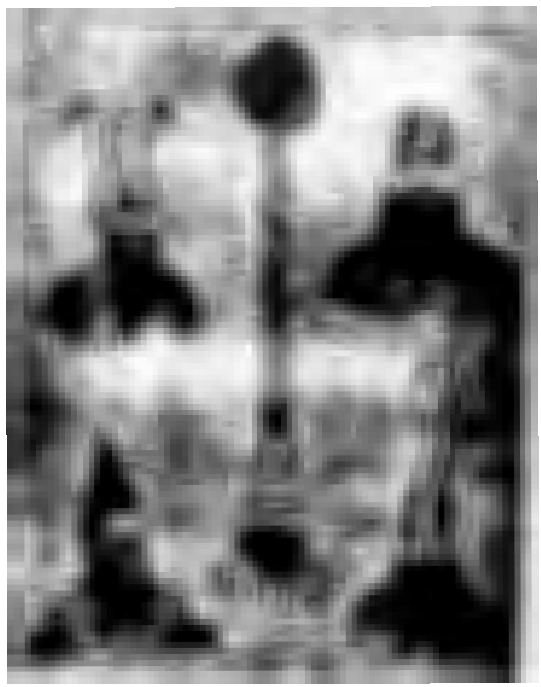

الشكل الثالث ١ صورة طرطور بلبس بمرتفاعه ٢ و٣ و٤ و٥ صور فلانس تلبس في الحفلات المختلفة

وهم عراة في الغالب لا يسترون عريتهم بشيء ولكن رؤساءهم وسحرتهم يضعون على رؤسهم فلانس وطراطير في حد الغرابة كما ترى في الشكل الثالث فعند الرقم ١ رأس رجل يرقص للاستمطار وقد لبس طرطوراً طويلاً جداً من الخشب ألصق به الريش بالدم وادخل عوداً طويلاً في اربعة ثقوب وربط حبلها من اسفلها والفلانس الاربع الباقية تلبس في الحفلات والولائم والهلال المتصل بقنسوة الرابع حزمة من الحشيش لفّ عليها خيطاً ابيض. ويكثرون الرقص لابسين مثل هذه الفلانس ما دامت الارواح الموتى وسحر السحرة او استجلاباً للخيرات